# إيضاحات على ملاحظات الدكتور العثيمين حول كتاب: سليمان بن صالح الدخيل

د. محسن عياض عجيل

## مقدمـــة:

**كان مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة قد شرفني بنشر كتابي المتواضع (الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل) سنة ١٩٨٢م. وهو كتاب إستعرضت فيه سيرته وآثاره ومنهجه العلمي وجهاده السياسي، ثم ألحقت ذلك بنشر بحوثه النجديات، وهي سبعة عشر بحثاً كان قد نشرها بين سنتي ١٩١١ ـ ١٩١٤م في مجلة لغة العرب التي كان يصدرها ببغداد المرحوم الأب أنستاس الكرملي. ومعظم تلك البحوث كانت عن جزيرة العرب وإماراتها وقبائلها وعن بعض المدن التي أنشأتها تلك القبائل على حدود العراق مستقراً لهجراتها. وكنت ألحقت بالكتاب رسالة صغيرة عنوانها (حقيقة المذهب الوهابي) كان الأستاذ الدخيل قد نشرها ببغداد سنة ١٩١٣م، وقد رأى المركز حذفها من الكتاب عند نشره لكونها نشرت مستقلة سابقاً ولوجودها في مكتبات بغداد العامة ولعدم ندرتها اليوم.**

وكنت قد أرسلت مسودة الكتاب قبل تقديمه للنشر، أثناء عملي أستاذاً بجامعة الإمارات العربية المتحدة، إلى عالم جليل من علماء المملكة وفضلائها، أسأله النصح والمشورة في أمر نشره، وتحسباً أن يكون في الكتاب أمر يسيء إلى تاريخ المملكة ورجالها مما لم أتنبه له، وهو شيء لا أحب وقوعه في كتاب أقوم على نشره، لما أحمله في نفسي للمملكة وأهلها من ذكريات طيبة خلفها حسن الضيافة والرعاية الكريمة التي حظيت بها منهم أثناء عملي أستاذاً في كلية الشريعة بمكة المكرمة، وقد كتب لي ذلك العالم السعودي الجليل ما يدل على إعجابه بالكتاب وحضني على نشره.

## ملاحظات الدكتور العثيمين على دراستي للدخيل:

ومعلوم أن الكتاب إذا نشر خرج من يدي صاحبه وصار ملك الناس يقولون فيه ما يشاؤون. وقد حظي كتابي هذا بحمدالله بعناية خاصة من الزميل الكريم الدكتور عبدالله الصالح العثيمين فشرفني بملاحظات قيمة تناولت دراستي له وبحوث الأستاذ الدخيل، وقد نشر الزميل تلك الملاحظات في مجلة الخليج العربي التي يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (المجلد الخامس عشر، العدد الأول، سنة ١٩٨٣م) ثم أعاد نشر تلك الملاحظات في مجلة (الدارة) السعودية (العدد ٣ السنة التاسعة ربيع الثاني ١٤٠٤هـ يناير ١٩٨٤م) ولعله فعل ذلك تعميماً للفائدة.

وليس هذا رداً على الزميل الكريم وإنما هو إيضاح ومشاركة في الحديث. وأنا، بعد، لا أجد في نفسي حرجاً من التسليم له بصواب بعض ملاحظاته وأنه كان موفقاً بها غاية التوفيق، ومن ذلك:

١ ـ التداخل الحاصل بين نص كلام الأب الكرملي وما نقلته عنه بتصرف، في حديثه عن كتاب العقد المتلالىء.

٢ ـ عدم الدقة في نقل كلام الأب الكرملي عن كتاب عنوان المجد.

٣ ـ عدم الدقة في نقل كلام الشيخ الجاسر عن كتاب القول السديد.

٤ ـ خطأ الجزم بوجود عدد واحد من جريدة الرياض وضياع بقية الأعداد، وقد رجح الزميل الكريم احتمال وجودها في مكتبات تركيا أو مكتبة المتحف البريطاني، ولعل الدكتور العثيمين يسره أن يعلم أنني عرفت بعد نشر الكتاب من أحد أصهار آل الباججي (الزميل الدكتور وليد خالص) أن جريدة الرياض توجد كاملة في مكتبة المرحوم مزاحم الأمين الباججي رئيس وزراء العراق الأسبق.

أما قول الأستاذ الجاسر في وصف الدخيل بأنه (أديب نجدي) وتحريفها إلى (أديب نجد) فقد كانت غلطة مطبعية أعتذر إليه وإلى أستاذنا الجاسر عنها، ولا مصلحة لي في أن يكون الدخيل أديب نجد أو أديباً نجدياً.

ولم أجد مبرراً لما ذكره الدكتور من عدم إقتناع القارىء بقولي: إنني لم يتح لي الإطلاع على ملف المرحوم الدخيل المحفوظ بوزارة الداخلية، إذ لا مصلحة لي في الإشارة إلى وجود ذلك الملف وعجزي عن الإطلاع عليه، ولم أجد مبرراً لإطلاع القارىء الكريم على تفصيلات محاولاتي في سبيل ذلك وإنني قدمت طلباً للوزارة فاعتذرت عن إجابته، فقد وجدت ذلك من فضول القول الذي لا يعني القارىء

ولا يهمه. أما جزمي بوجود سجل كامل لمناصبه الإدارية وبيان أسباب نزوله في التدرج الوظيفي في ذلك الملف، فقد كان القياس فيه ما نعرفه من إحتفاظ تلك الملفات بنسخ من الكتب الرسمية المتعلقة بصاحب الملف.

أمّا إنني ذكرت اسمي الشيخ الجاسر والأستاذ بطي مقرونة بألقاب التعظيم إذا وافقت أقوالها هواي ثم ذكرتها مجردة من ذلك إذا اعترضت على ما ذكراه عن الدخيل فقد علم الزميل الكريم وعلم الناس أن شهادة مثلي في مثلها لا تضرهما ولا تنفعها فليس مثلها من يحتاج إلى تزكية مثلي وثنائه.

وقد ذكر الزميل الكريم أنني نقلت ماوافق هواي من كلام المرحوم بطي عن جريدة الرياض وأعرضت عن بقية الكلام الذي حمل تشكيكاً في صحة أخبار تلك الجريدة. والحق أنني نقلت القسم الأول من كلام الأستاذ بطي حول خدمة جريدة الرياض لقضايا العرب وعنايتها بأخبار أهل الجزيرة، عند حديثي عن جهاد الأستاذ الدخيل الوطني والطومي، ولو أمعن الدكتور القراءة لوجد أنني لم أتجاهل بقية النص وإنما ذكرته في موضعه عند الحديث عن أمانة الدخيل العلمية (ص٣٨).

## ملاحظات الدكتور على بحوث الدخيل:

**ولا شك أنني لست ملزماً بالدفاع عن بحوث الأستاذ الدخيل حول نجد وإماراتها، إذ أنني لست مختصاً بتاريخ المملكة الحديث الذي يبدو أنه اختصاص الدكتور الذي لا ننازعه فيه ولا نملك حق الحكم على قيمة ملاحظاته تلك وإنما هو أمر متروك لزملائه الذين يشاركونه الإختصاص نفسه.**

**ولرب سائل يسأل أين كان الدكتور العثيمين عن تقويم تلك البحوث كل هذه المدة الطويلة وقد نشرت بين سنتي ١٩١١ ـ ١٩١٤ وما الذي أقعده عن ذلك إن كان قد اطَّلع عليها سابقاً، وإذا كان لم يرها حتى أعيد نشرها في هذا الكتاب، أفليس من فضل هذا الكتاب عليه أن يسدله الإطلاع على بحوث لم يرها سابقاً وهي من صميم إختصاصه بغض النظر عن قيمتها العلمية.**

**وقد كنت ذكرت في ص ٣٤ ما نصه (وإذا كان بعض هذه البحوث ليس جديداً على أهل نجد الآن فإنها كانت جديدة كل الجدة عند العراقيين قبل سبعين سنة من الزمان) وهذا فضل الأستاذ الدخيل الذي أبى الدكتور أن يقره له. فقد أنكر أن يكون الدخيل قد سبق إلى كتابة ما كتبه عن نجد وإماراتها، ثم قصر نقده وملاحظاته على ما يقع تحت إختصاصه وأهمل بقية بحوث الدخيل وهي:**

**١ ـ بعض الأعراب غير المنسوبة. ٢ ـ الخميسية أو لؤلؤ البرية.**

٣ـ سوق الشيوخ.
٤ ـ مشاهير بيوت وقبائل سوق الشيوخ.
٥ ـ بلد البوعينين.
٦ ـ الأرطوية أو بلدة جديدة في ديار نجد.
٧ ـ بقايا بني تغلب.
٨ ـ تيماء.

**ولسائل أن يسأل لماذا تجاهل الدكتور نصف عدد البحوث المنشورة في الكتاب ولم يعرض لها بالنقد والملاحظة، ولماذا لم يذكر إن كانت أصيلة بكراً أو سبق الدخيل إلى الكتابة فيها غيره، وإذا لم تكن تلك البحوث ضمن دائرة اختصاصه ولا علم له بها، فقد علّمه المرحوم الدخيل من ذلك ما لم يكن يعلم وكان له عليه فضل الأستاذ والمعلم وكان من حقه عليه أن يقرّ له بذلك.**

وقد أنكر الدكتور الفاضل عليَّ أن عددت معظم بحوث الأستاذ الدخيل من المبتكر الأصيل الذي لم يسبق إليه ومن ذلك ما كتبه عن نجد وإمارة آل رشيد، وقال إن كتابات كثيرة كانت قد نشرت عن ذلك بلغات مختلفة قبل كتابة الدخيل عنها ومن ذلك تاريخ ابن غنام الذي طبع سنة ١٩٠٢.

وأقول: إن الزميل الكريم لم يستطع أن يذكر لنا تلك الكتابات الكثيرة التي نشرت بلغات مختلفة ولم يثبت أنها نشرت فعلاً قبل أن يكتب الدخيل ما كتبه، ولم يجد غير تاريخ ابن غنام مستشهداً على صحة أقواله. وفي هذا ظلم للدخيل، الفترة المتأخرة من تاريخ نجد، أي أنه سجل كثيراً من الحوادث التي لم يسجلها ابن غنام والتي وقعت بعد وفاته سنة ١٨١١م.

وكان معظم حديث الدخيل عن نجدْ التي عاصرها هو، أقسامها ومدنها وعادات أهلها وأخلاقهم وأعمالهم ونقودهم وديانتهم وعلومهم، ثم تحدث مفصلاً عن أمارتي آل سعود وآل رشيد وماجرى بينهما من حروب ومنازعات، مما عاصره وكان قريب العهد به وهو ما لم يسجله ابن غنام وما لم يستطع الدكتور أن يثبت أن كتاباً قد تناوله ونشر قبل كتابة الدخيل له بين سنتي ١٩١١ ـ ١٩١٤م.

وإذا سلمنا للدكتور جدلاً بعدم جدة ما كتبه الدخيل عن نجد وإماراتها، فقد سلمت له ثمانية بحوث على سبيل الجدة والإبتكار، وهو عدد قد لا يسلم مثله لكثير من أساتذة الجامعات المختصين بالتاريخ الحديث مع ما توفر لهم الآن من الدراسة في الجامعات الأجنبية والإطلاع على كثير من الدراسات في مختلف اللغات، وهو ما لم يتوفر مثله للمرحوم الدخيل.

فإذا أضفنا إلى ذلك اعتماد المرحوم الدخيل للمنهج العلمي في كتاباته وبحوثه مثل ذكره لمبررات اختياره لموضوع البحث ثم وضعه خطة له وتقسيمه إلى موضوعات جزئية، بعناوين فرعية واستخدامه للترقيم والحواشي وذكر مصادره المطبوعة والمخطوطة مع المشاهدة والاختبار الشخصي، ثم استدراكه لما أخطأ به ومسارعته إلى تصحيحه.

أقول: إذا أضفنا إلى أصالة بحوثه الثمانية استخدامه ذلك المنهج العلمي المتكامل، الذي لم يتح له أن يتعلمه في جامعة كما يفعل الناس الآن، كان ذلك كله دليلاً على فضل الرجل ومدعاة للإعجاب به.

وإذا كان الدخيل لم يكن دقيقاً في بعض معلوماته أو خالف شيئاً من أسس المنهج العلمي في الحواشي والترقيم، أفلا يقوم له عذراً عند الدكتور أننا نجد مثل ذلك وزيادة الآن وبعد نصف قرن من وفاته، في كثير من الرسائل العلمية التي نال بها أصحابها درجة الدكتوراه وأنفقوا في إعدادها ودراسة مناهج البحث العلمي سنين عدداً، ثم كان ذلك كله بإشراف أستاذ كبير ولجنة جامعية ممتحنة.

ولو لم يكن للمرحوم الدخيل من فضل غير كون بحوثه تلك المتواضعة قد أصبحت الآن من مصادر دراسة المختصين بالتاريخ الحديث للجزيرة كالدكتور العثيمين وزملائه، يتناولونها بالدرس والتقويم والتصويب والتصحيح، ثم يتخذون من ذلك كله وسيلة للترقية العلمية وذيوع الصيت وشهادة على غزارة العلم وجودة البحث، لكفاه فضلاً وكان له أجر السابق المجتهد.

### إعجابي بالمرحوم الدخيل:

وقد عاب الدكتور العثيمين عليَّ أنني معجب بالدخيل وأريد دفع القارىء لمشاركتي في ذلك الإعجاب، وهي تهمة لا أنكرها واللهم قد فعلت ذلك، على أنني لم أعاصر الرجل ولم أره ولا تربطني به رابطة نسب أو قرابة ولا أعرف حتى الآن أحداً من أسرته أو عشيرته.

ورجل مثله خرج من (بريدة) إلى الهند فقيراً في طلب الرزق وعمل كاتب حسابات عند التاجر عبدالله الفوزان ثم دفعته همته وطموحه إلى تعليم نفسه وتثقيفها والرحلة للعراق للتلمذة على كبار علمائه والأخذ عنهم. ثم مشاركته بالصحافة والكتابة والتأليف والنشر والجهاد الوطني ووصوله إلى مناصب إدارية رفيعة. وما حققه لنفسه بعصاميته وكفاحه من شهرة حتى صار علامة مميزة في تاريخ الصحافة العربية وحتى كتب عنه وعُني به رجال من مثل الكرملي والزركلي والجاسر ورفائيل بطي وكوركيس عواد وعبد الرزاق الحسني وعلي جواد الطاهر وعبدالله الصالح العثيمين.

أقول: إن رجلاً هذه صفته ومؤهلاته جدير بالإعجاب وحسن الذكر، ولا يجد الإنسان المنصف في نفسه ما يمنعه من ذلك، وقد كان الدكتور العثيمين أولى مني بهذا الإعجاب بسبب أن ذلك الرجل المتوفى سنة ١٩٤٤ قد دفع عالماً فاضلاً مثله، بعد نصف قرن تقريباً، إلى تعقب بحوثه وتصويبها والاستدراك عليها، وأتاح له أن يظهر أهل العراق وأهل الجزيرة على ما آتاه الله من علم وفضل هو أهل له وبه جدير.

# تعليق على ايضاح
# الدكتور محسن عجيل

د./ عبدالله الصالح العثيمين

نشر الدكتور الفاضل محسن غياض عجيل في مجلة الخليج العربي (١) ، التي تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، إيضاحاً على ملاحظات سبق أن نشرتها في مجلة الدارة (٢) حول كتابه عن المرحوم سليمان بن صالح الدخيل.

وللدكتور محسن خالص الشكر على اهتمامه بما كتبته من ملاحظات ، وعلى ما دوّنه من إيضاح يتعلق بها.

وأحسب أن القارىء الكريم لو رجع إلى الملاحظات المذكورة وقارنها بما كتبه الدكتور محسن من إيضاح لكانت الفائدة أكبر. على أن هذا لا يمنع من التعليق على الإيضاح ذاته لتأكيد الهدف الذي قصدته من كتابة الملاحظات.

لقد ذكر الدكتور محسن في إيضاحه صواب بعض ملاحظاتي على كتابه ، وأورد من ذلك أربعة أمور. ولا شك أن الحق ضالة المؤمن. وليس مهماً إيراد كل ما لم يشر إليه الدكتور بتأييد أو معارضة من تلك الملاحظات. ذلك أن من أراد معرفتها كلها فإن من السهل عليه الرجوع إليها في الموضوع الذي نشرت فيه من مجلة الدارة. لكن المهم ، هنا ، عرض ما ورد في إيضاح الدكتور محسن مما لم يقتنع فيه نقطة نقطة.

١ ـ قال : «أما قول الأستاذ الجاسر في وصف الدخيل بأنه (أديب نجدي) وتحريفها إلى (أديب نجد) فقد كانت غلطة مطبعية أعتذر إليه ـ يعني كاتب الملاحظات ـ وإلى أستاذنا الجاسر عنها ، ولا مصلحة لي أن يكون الدخيل (أديب نجد) أو (أديباً نجدياً)».

وكنت قد أشرت في الملاحظات إلى إعجاب الدكتور محسن بالمرحوم الدخيل، وحرصه على أن يشاركه القارىء هذا الإعجاب، وأن من وسائله لذلك:

أ ـ تفخيم مكانة من كتب عن الدخيل إذا كان في كلامه ما يوحي بفضله، وترك ذلك التفخيم إذا لم يكن فيه ما يوحي بفضل.

ب ـ تغيير كلام من تحدثوا عن الدخيل إما بذكر جوانب المدح في كلامهم عنه غير مقرونة بجوانب الذم من ذلك الكلام، وإما بتغيير منطوق الكلام ليدل على عظمة من قيل فيه(٣).

وقد أعطيت أمثلة على ما أشرت إليه. ومنها ما ورد في كتاب الدكتور محسن نقلاً عن أن الشيخ حمد الجاسر قال عن الدخيل:

«أديب نجد» في حين أن الشيخ قد قال عنه: «أديب نجدي».

وقلت: إن الفرق واضح بين مدلولي التعبيرين(٤).

وقد ذكر الدكتور محسن في إيضاحه أن ذلك كان غلطة مطبعية. ومعلوم أن القارىء يبني أحكامه على ما بين يديه مما هو مطبوع. ولولا مبالغات الدكتور محسن في مدحه للمرحوم الدخيل في كثير من مواضع دراسته عنه لترجّح أن يكون هناك غلط مطبعي في تغيير عبارة الشيخ حمد من «أديب نجدي» إلى «أديب نجد». وصحيح أنه لا مصلحة للدكتور محسن في أن يكون المرحوم الدخيل «أديب نجد» أو «أديباً نجدياً». لكن القارىء إذا لاحظ أن شيخاً جليلاً مثل الشيخ حمد قد قال عن المرحوم الدخيل إنه «أديب نجد» فإن إعجابه به سيكون أكثر مما لو قال عنه «أديب نجدي». وكل القرائن الموجودة في دراسة الدكتور محسن تدلّ على أنه أراد بكل وسيلة أن يُعْجَب القارىء بالمرحوم الدخيل كل الإعجاب.

٢ ـ قال الدكتور محسن في إيضاحه: «ولم أجد مبرراً لما ذكره الدكتور ـ يعني كاتب الملاحظات ـ من عدم اقتناع القارىء بقولي: إنني لم يتح لي الاطلاع على ملف المرحوم الدخيل ... إلى قوله: أما جزمي بوجود سجل كامل لمناصبه الإدارية وبيان أسباب نزوله في التدرج الوظيفي في ذلك الملف .. إلخ.».

وكنت قد أشرت في الملاحظات إلى قول الدكتور محسن: «لم يتح لنا الاطلاع على ملف خدمة المرحوم الدخيل المحفوظ في وزارة الداخلية العراقية، وقوله عن ذلك الملف: ولا شك أن فيه سجلاً

كاملاً لمناصبه الإدارية .. إلخ. وقلت: إذا كان الملف محفوظاً في الوزارة وهو من الأهمية بالدرجة التي أشار إليها الدكتور محسن فهل يقتنع القارىء من مؤلف عراقي بالذات بعبارة: لم يتح لنا الاطلاع دون إبداء ما يثبت محاولته الاطلاع وفشله في تلك المحاولة؟ ومادام المؤلف لم يطلع على الملف فكيف يجزم بأنه يشتمل على ما ذكره؟ أليس من الأفضل في مثل هذه المسألة أن يقال: «ومن المحتمل» أو «ومن المرجح» بدلاً من «ولا شك»[٥]؟

**وأحسب أن إجابة الدكتور محسن عن هذه المسألة في إيضاحه لا تقنع القارىء. إن عبارة: «لم يتح لنا الاطلاع» تحتمل أن يكون مُنِع من الاطلاع، كما ذكر في الإيضاح، وتحتمل أن تكون مشاغله حالت دون اطلاعه. فإن كانت الوزارة قد منعته من ذلك ـ وهذا ما يعرفه إخواننا العراقيون أكثر مني ـ فإن الأجدر به أن يقول، مثلاً، : إن الأنظمة تحول دون الاطلاع عليه. أو يقول: إنه حاول الاطلاع عليه، فلم يمكّن من ذلك. ولا يحتاج القارىء بطبيعة الحال إلى تفصيلات عما قام به في محاولته. أما مسألة جزمه بوجود سجل كامل لمناصب المرحوم الدخيل في ذلك الملف .. إلخ فقد قال في إيضاحه: إن مرد ذلك القياس .. إلخ.**

ولو سلّم للدكتور محسن بأن الملفات، عادة، تحتفظ بكل شيء مما ذكره فإن استعمال عبارة مثل «ومن المرجّح» أصوب؛ خاصة إذا قرنت بعبارة مثل؛ لأن الملفات، عادة تشتمل على هذه الأشياء.

٣ ـ قال الدكتور محسن: «أما أنني ذكرت اسمي الشيخ الجاسر والأستاذ بطي مقرونة (هكذا) بألقاب التعظيم إذا وافقت أقوالهما هـواي ثم ذكرتها مجردة (هكذا) من ذلك إذا اعترضت على ما ذكراه عن الدخيل فقد علم الزميل الكريم وعلم الناس أن شهادة مثلي في مثلها لا تضرهما ولا تنفعها. فليس مثلها من يحتاج إلى تزكية مثلي وثنائه.».

وغريب أن يفهم الدكتور محسن أن ما أشرت إليه في الملاحظات كان تبيين أن شهادته في الشيخ حمد والأستاذ بطي تضرهما أو تنفعها.

لقد أشرت في الملاحظات إلى أن وسائل الدكتور محسن لإقناع القارىء في مشاركته الإعجاب الشديد بالمرحوم الدخيل ما سبق أن قلت في هذا التعليق من تفخيم لمكانة من كتب عن الدخيل إذا كان في كلامه ما يوحي بفضله، وترك ذلك التفخيم إذا لم يكن فيه ما يوحي بفضل. وضربت دليلاً على هذا بقولي: فحمد الجاسر «علاّمة نجد ومؤرخها الأستاذ حمد الجاسر» حين قال« إن الدخيل أول نجدي مارس الصحافة[٦]. لكنه وصفه قبل ذلك بالأستاذ حمد الجاسر حين لم يكن في كلامه ما يدل

على أسبقية الدخيل(٧). ورفائيل بطي: «الصحفي الكبير الأستاذ رفائيل بطي» حين قال عن جريدة الرياض: إنها جريدة ذات لون خاص في الصحف العراقية، بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الجيل.»(٨) لكنه وصفه قبل ذلك بالأستاذ رفائيل بطي حين لم يكن كلامه عن الدخيل يوحي بعظمة(٩).

وبهذا يتضح أن ما ورد في الملاحظات لم يكن المراد منه الشهادة بفضل كلٍ من الشيخ حمد والأستاذ بطي وإنما تبيين وسيلة من وسائل الدكتور محسن في إقناع القارىء ليشاركه إعجابه الشديد بالمرحوم الدخيل.

٤ ـ ذكر الدكتور محسن في إيضاحه أنه أعرض عن إيراد بقية كلام الأستاذ بطي عن جريدة الرياض ـ وهو الجزء الذي حمل تشكيكاً في صحة أخبار تلك الجريدة ـ وأورده عند الحديث عن أمانة الدخيل العلمية.

والذي قام به الدكتور محسن في هذه المسألة أنه أورد في الموضع المعنون: نشاطه الصحفي ما يلي:

«وقد أشاد الأستاذ رفائيل بطي طويلاً بهذه الجريدة ـ يعني جريدة الرياض ـ، وقال: إنها خدمت القضية العربية، وساعدت على نشر الوعي القومي، وإنها كانت مصدراً لكل ما ينشر في العالم آنذاك من أخبار الجزيرة العربية وحوادثها، وإن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر. وقد تشغل بعض مروياتها عن جزيرة العرب أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً».

ولم يورد، هنا، غير ذلك من كلام الأستاذ بطي(١٠). ثم أشار في الموضع المعنون: الأمانة العلمية إلى أن الأستاذ الدخيل «لا يذيع خبراً ولا يكتب شيئاً قبل الاطمئنان إلى صحة مصدره وعدالة ناقليه ورواته».

وأورد نصين للدخيل أراد بهما إثبات ما قاله عنه. وبعد ذلك مباشرة قال:

«وعجيب حقاً أن نجد بعد ذلك، من يتهم الأستاذ الدخيل بالتزيد والمبالغة وعدم الأمانة، وممن اتهمه بذلك ظلماً الأستاذ رفائيل بطي في قوله: «وقد تشغل بعض مروياتها؛ أي جريدة الرياض، عن جزيرة العرب أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً بينما يكون الحادث من أساسه من مبتدعات خيال مدير الرياض أو محررها»(١١).

وكنت قد أشرت في الملاحظات إلى ما أورده الدكتور محسن من كلام الأستاذ بطي عن جريدة الرياض، ثم أشرت إلى كل ما قاله هذا الأستاذ عنها، ومنه ما قاله بعد ثنائه عليها:

«وليس عليكم بعد ذلك أن تدققوا أو تلحفوا في تمحيص صحة ما ترويه صحيفة الرياض من أخبار الإمارات العربية وسلطات الخليج وزعامات البوادي. فالمبالغة بادية عليها. ولكن هذا لا يهم الكاتب أو الناشر، إنما المهم أن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر. وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون أسلاك البرق... الخ(١٢)».

ولعل القارىء الكريم يلاحظ أن الأستاذ بطي لم يقل عن جريدة الرياض: «إنها كانت مصدراً لكل ما ينشر في العالم آنذاك من أخبار الجزيرة العربية وحوادثها» ـ وهو الأمر الذي ادّعى الدكتور أنه قاله(١٣). ومعلوم أن الأستاذ بطي لو قال هذا الكلام لما صدّق. ولا يخفى على القارىء الكريم الأسلوب الذي اتّبعه الدكتور محسن في إيراده جزءاً من نقد الأستاذ بطي لجريدة الرياض؛ إذ يؤيد هذا الأسلوب ما سبقت الإشارة إليه من اتّباعه مختلف الوسائل لإقناع القارىء بمشاركته الإعجاب بالمرحوم الدخيل.

٥ ـ ثم انتقل الدكتور محسن في إيضاحه إلى مناقشة قليل مما أشرت إليه في الملاحظات حول أعمال المرحوم الدخيل، وقال:

«ولرب سائل يسأل أين كان الدكتور العثيمين عن تقويم تلك البحوث كل هذه المدة الطويلة...» إلخ.

وعجيب أن يربط الدكتور محسن بين تقويم أي إنتاج وبين زمن نشره؛ والجميع يعلمون أن التقويم يمكن أن يحدث لأعمال نشرت منذ مئات السنين! لكن الأعجب من ذلك أن يخفى عليه المراد بملاحظاتي على ما ناقشته من أعمال المرحوم الدخيل مع نصي في تلك الملاحظات على ذلك المراد. فلقد قلت في ديباجتها:

«والملاحظات على الكتاب بعضها يتعلّق بدراسة المؤلف ـ وهو الدكتور محسن ـ وبعضها يتعلّق ببعض ما كتبه الدخيل.

وإذا كان تناول الدراسة مهماً في حد ذاته فإن الهدف الرئيسي من تناول بعض ما كتبه الدخيل إبداء ما قد يساعد في تقويم ما ذكره المؤلف عنه.»(١٤).

وبهذا يتضح أني لم أكتب ما كتبته عن بعض أعمال المرحوم الدخيل تقويماً لها ابتداء، وإنما للمساعدة في تقويم الدراسة التي كتبها عنه وعن أعماله الدكتور محسن. ومما يوضح ذلك أنني في نهاية مناقشتي لبعض أعمال الدخيل قلت:

**«وبعد هذا أترك للقارىء الكريم تقويم ما ذكره الدكتور عجيل عن الأستاذ الدخيل، ووصفه إيّاه بأنه كان عادلاً جداً في تحليله وتعليله، ولم يكن متعصباً ولا متحيزاً» وأن كتاباته كانت موضوعاتها «أصيلة بكراً كان الدخيل أول من بحث فيها لم يسبقه أحد من الباحثين»، وأنه كان «حريصاً كل الحرص على ترقيم مئون بحوثه واستخدام حواشي الصفحات فيما تستخدم به عادة من الإشارة إلى المصادر»، وأنه «قد أبعد بحوثه عن أن تكون مجرد جمع للمعلومات وسرد لها، وأضفى عليها طابع البحث العلمي الدقيق»، وأنه «قد أخذ بأسباب المنهج العلمي كاملة، واستوفى جوانبه إستيفاء من دقة في اختيار الموضوعات وخطة متكاملة في بحثها ومعالجتها، وحرص على ذكر المصادر والإشارة إليها واستكمال لما يقتضيه البحث من الترقيم والحواشي والتعليقات وتحقيق الشخصية الباحثة المتميزة من خلال المناقشة والاستدراك والتحليل والتعليل»**(١٥).

٦ ـ قال الدكتور محسن في إيضاحه: «وقد كنت ذكرت في ص ٣٤ ما نصه وإذا كان بعض هذه البحوث ليس جديداً على أهل نجد الآن فإنها كانت جديدة كل الجدة عند العراقيين قبل سبعين سنة من الزمان. وهذا فضل الأستاذ الدخيل الذي أبى الدكتور ـ يعني كاتب الملاحظات ـ أن يقره له...» الخ.

ومرة أخرى يثير الدكتور محسن العجب. ذلك أني لم أعلّق على العبارة التي أوردها في هذا الإيضاح، وإنما قلت فيما يتعلّق بموضوع حكمه على أسبقية الدخيل في الكتابة عما كتب عنه ما يلي:

«ومن الواضح أن إعجاب الدكتور عجيل بالدخيل جعله يصف كتاباته وصفاً غير مطابق للواقع في بعض الأحيان. فقد ذكر ـ مثلاً ـ أن معظم كتاباته جاءت بكراً لم يسبقه أحد إلى الكتابة فيها، وتوفرت فيها الجدة والطرافة. وعدّ من ذلك ما كتبه الدخيل عن نجد وإمارة آل رشيد(١٦). ومن المعلوم أن كتابات كثيرة كانت قد نشرت عن نجد وإمارة آل رشيد بلغات مختلفة قبل كتابة الدخيل عنها. بل إن تاريخ ابن غنام، وهو مصدر مهم عن نجد ودعوة ابن عبد الوهاب وتاريخ آل سعود، كان قد طبع سنة ١٩٠٢م»(١٧).

وبهذا يتضح أنني لم أحاول إنكار أسبقية المرحوم الدخيل في الكتابة عن كل الأمور التي كتب عنها أو إثباتها، وإنما حاولت أن أبين عدم دقة الدكتور محسن حينما عدّ من الموضوعات البكر التي كتب فيها الدخيل كتاباته عن نجد وإمارة آل رشيد.

٧ ـ ثم قال الدكتور محسن: «إن الزميل الكريم ـ يعني كاتب الملاحظات ـ لم يستطع أن يذكر لنا تلك الكتابات الكثيرة التي نشرت بلغات مختلفة، ولم يثبت أنها نشرت فعلاً قبل أن يكتب الدخيل ما كتبه، ولم يجد غير تاريخ ابن غنام مستشهداً به على صحة أقواله».

والواقع أني اعتقدت أن من هو في مثل مرتبة الدكتور محسن العلمية يستطيع بسهولة ـ لو أراد ـ أن يعرف كثيراً مما كتب عن نجد وإمارة آل رشيد ـ وهذا ما ركزت عليه الحديث ـ قبل الدخيل. وذكرت تاريخ ابن غنام مثلاً من تلك الكتابات. ولست أرى داعياً للإثقال على القارىء بذكر كثير من الكتب والمقالات التي تضمنت معلومات عن نجد وإمارة آل رشيد، والتي نشرت قبل نشر الدخيل لما كتبه عنهما. ولا أدّعي أني ملم بكل ما كتب عنهما، ولكني أودّ أن أشير إلى عدد مما يحضرني من الكتابات برغم ما يتضمّنه بعضها من أخطاء، مثلها مثل كثير من الكتابات.

**ـ كتابة نيبور التي وردت فيها معلومات عن نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونشرت مترجمة إلى الإنجليزية عام ١٧٩٢م.**

**ـ كتابة دوساسي: ملاحظات حول الوهابيين، المنشورة بالفرنسية عام ١٨٠٥م.**

**ـ كتابة وارنج ضمن رحلته إلى شيراز. وقد نشرت بالإنجليزية عام ١٨٠٧م.**

**ـ كتابة كورانسز: تاريخ الوهابيين .. بالفرنسية. وقد نشرت عام ١٨١٠م.**

**ـ كتابة بوركهارت في مؤلفيه رحلات في بلاد العرب وملاحظات على البدو والوهابيين. وقد نشرا بالإنجليزية الأول سنة ١٨٢٩م والثاني سنة ١٨٣١م.**

**ـ كتابة بردجز بعنوان تاريخ موجز للوهابيين، ملحقة بكتابه عن رحلته إلى البلاط الإيراني. وقد نشرت بالإنجليزية عام ١٨٣٤م.**

**ـ كتابة مانجان ضمن كتابه عن محمد علي بالفرنسية. وقد نشرت عام ١٨٣٩م.**

**ـ كتابة شودزكو عن عقيدة إتباع الشيخ محمد. وقد نشرت بالفرنسية عام ١٨٤٨م.**

**ـ كتابة والين عن نجد وآل رشيد المنشور بالإنجليزية عام ١٨٤٨م.**

**ـ كتابة بالجريف عن نجد وآل رشيد المنشورة بالإنجليزية عام ١٨٦٥م.**

**ـ كتابة دحلان بالعربية في مؤلفيه الدرر السنية .. المنشور عام ١٨٨٤م.**

**وخلاصة الكلام .. المنشور عام ١٨٨٧م.**

**ـ كتابة هوبير عن نجد وآل رشيد بالفرنسية. وقد نشرت عام ١٨٨٨م.**

**ـ كتابة زويمر عن الوهابيين المنشورة بالإنجليزية عام ١٩٠١م.**

**ـ كتابة سالدانا عن الأحداث الجارية في جزيرة العرب، خاصة نجد والخليج بين عام ١٩٠٤م و١٩٠٦م، والمنشورة بالإنجليزية خلال هذين العامين.**

٨ ـ وبعد أن تحدّث الدكتور محسن في إيضاحه عن مسألة أصالة كتابات المرحوم الدخيل تكلم عن اتباعه للمنهج العلمي، ثم قال:

«إذا كان الدخيل لم يكن دقيقاً في بعض معلوماته أو خالف شيئاً من أسس المنهج العلمي في الحواشي والترقيم، أفلا يقوم له عذراً (هكذا) عند الدكتور ـ يعني كاتب الملاحظات ـ أننا نجد مثل ذلك وزيادة الآن وبعد نصف قرن من وفاته في كثير من الرسائل العلمية..» إلخ.

**ولعلّ القارىء الكريم يدرك أن تساؤل الدكتور محسن في غير محلّه. ذلك أني قد أوضحت سابقاً أن تناول كتابات المرحوم الدخيل في الملاحظات كان الهدف الرئيسي منه تبيين تقويم دراسة الدكتور محسن لتلك الكتابات.**

**وقد أوضحت في تلك الملاحظات ـ وفي هذا التعليق ـ أن ما قاله الدكتور محسن عن منهج المرحوم الدخيل مخالف للواقع. ومادامت الملاحظات لم تتناول بعض ما كتبه المرحوم الدخيل إلا للمساعدة في تقويم دراسة الدكتور محسن عنه فإنه لا داعي لتلمس أعذار للمرحوم الدخيل. ذلك أن اللوم لم يكن منصباً عليه أساساً، بل على من وصفه بأوصاف غير مطابقة للواقع.**

**٩ ـ ثم اختتم الدكتور محسن إيضاحه بذكر مصدر إعجابه بالمرحوم الدخيل. ولكن الإعجاب بعصامية الدخيل يجب ألاّ يطغى على عاطفة باحث فاضل، مثل الدكتور محسن، فينسب في خضم الحماس إلى المعجب به ما لا يتّصف به. ذلك أن المبالغة قد لا يقتصر ضررها على اهتزاز الثقة بكاتبها،**

وإنما قد يتجاوزه إلى المكتوب عنه. ولو وزن الدكتور محسن كتابات المرحوم الدخيل بميزان نقدي عادل لكان ذلك كافياً لإظهار المزايا التي اتّصفت بها تلك الكتابات.

وفّق الله الجميع لما فيه الخير والسداد.

**الهوامش:**

(١) انظر العدد الثالث من سنة ١٩٨٧م، ص‌ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨.
(٢) انظر العدد الثالث من السنة التاسعة، ١٤٠٤هـ، ص‌ص ٨١ ـ ٩٧.
(٣) العدد الثالث الدارة: ص‌ص ٨٣ ـ ٨٤.
(٤) العدد الثالث المصدر نفسه: ص ٨٤.
(٥) العدد الثالث الدارة: ص ٨٣.
(٦) كتاب الدكتور محسن، الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢م، ص ١٨.
(٧) المصدر نفسه: ص‌ص ١٤ و١٧.
(٨) المصدر نفسه: ص ١٨.
(٩) المصدر نفسه: ص‌ص ١٥ و١٧.
(١٠) المصدر نفسه: ص ١٩.
(١١) المصدر نفسه: ص‌ص ٣٧ ـ ٣٨.
(١٢) رفائيل بطي الصحافة في العراق، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ص‌ص ٢٨ ـ ٢٩.
(١٣) كتاب الدكتور محسن السابق ذكره: ص ١٩.
(١٤) الملاحظات في الدارة: ص ٨٢.
(١٥) المصدر نفسه ص‌ص ٩٦ ـ ٩٧.
(١٦) كتاب الدكتور محسن: ص ٣٣.
(١٧) الملاحظات في الدارة: ص ٨٢.

ooo